

الظواهر الصوتية وتجلياتها في القراءات القرآنية من
خلال معجم القراءات القرآنية لأحمد مختار عمر وعبد
العال سالم مكرم -الهمز والإدغام أنموذجان-

**Soundscapes in the Qur'anic recitations through
the dictionary of Qur'anic readings by Ahmed
Mukhtar Omar and Abdel-Al Salem Makram -
Al-Hamz and Al-Idgham as samples**

✽ بزاوية مختار (*)

جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر.

mokhtar.bezzaouya@univ-mascara.dz

✽ موسى حبيب

جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر.

habib.moussa@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2021/12/11 تاريخ القبول: 2021/12/27

الملخص:

اعتنى علماؤنا القدامى من لغويين ونحويين ومفسرين وغيرهم
بدراسة القراءات القرآنية من جوانب شتى، فأوفوها حقها في ضوء ما
أتيح لهم من إمكانيات لغوية، وجاء بعدهم المعاصرون فأضافوا إلى

(*) المؤلف المرسل

جهود السابقين إضافات اصطبغت بالعلوم والمناهج الحديثة في دراسة اللغة ومستوياتها. وكانت الظواهر الصوتية التي اشتملت عليها القراءات القرآنية ميدانا خصبا لدراساتهم وبحوثهم، وقد ساهمت مصنفات وكتب القراءات القرآنية بمباحث صوتية غاية في الدقة والدراسة والتحليل. وفي هذا البحث حاولت استكشاف بعض تجليات هذه الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية من خلال معجم القراءات القرآنية لأحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم.

الكلمات المفتاحية: الأصوات؛ القرآن الكريم؛ القراءات؛ المعجم .

Abstract:

Our ancient scholars, such as linguists, grammarians, commentators, and others, took care of studying Quranic recitations from various aspects, and they fulfilled their mission with the linguistic capabilities that were available. Contemporaries came after them and added additions some efforts based on modern sciences and methodologies in studying the language and its levels. The phonetic phenomena that were included in the Qur'anic readings were a fertile field for their studies and research. The compilations and books of the Qur'anic readings contributed with soundscape investigations that are highly accurate in study and analysis. In this research, I tried to explore some of the manifestations of these phonetic phenomena in the Quranic readings through the dictionary of

Quranic readings by Ahmed Mukhtar Omar and Abdel Aal Salem Makram.

Key words: sounds; The Holy Quran; readings; lexicon.

1. مقدمة:

كان القرآن وسيبقى كتاب المسلمين المقدّس، والمعجزة الكبرى لأمة محمد صلى الله عليه وسلّم، فهو مصدر الأحكام والتشريع، ومنبع الأسرار والإعجاز، ومستودع لغتهم، ومرجع كلّ علومهم، ومحطّ أنظار الدارسين، ومناطق بحثهم في كل زمان ومكان، تهفو إليه القلوب والأفئدة، وتنهل منه المعرفة والحقّ والرشاد، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (فصلت/ 41-42).

ولما أكرم الله المسلمين بالقرآن الكريم وبعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، دخل الناس في دين الله أفواجا، وفتحت عليه بلاد المشرق والمغرب، فجلب هذا الفتح شعوبا تحمل معها اعوجاج لسانها ولُكُنتها في النطق بلغة الضّاد، فنال القرآن بعض الاختلاف في التّهجية فضلا عن القراءة الصّحيحة السّليمة، وكان هذا دافعا قويا لأخبار هذه الأئمة وعلمائها للدفاع عن القرآن الكريم وصونه من التبديل والتحرّيف. ولم يؤت هذا العمل ثمرته، إلا عند قيام حركة التّأليف والتّدوين حول كتاب الله، والعلوم المنبثقة منه.

ومع بدء هذه الحركة تعدّدت علوم القرآن ومباحثه، ولقي علم القراءات منها اهتماما كبيرا، فأفردت له التّصانيف العديدة، وانبرى للبحث فيه جمهرة من العلماء و الدّارسين، على اختلاف مذاهبهم من

قراء، ولغويين، ونحويين، وأصوليين، يتناولونه بالدراسة والتحليل قديما وحديثا.

وفي مساري الدراسي شاء القدير أن أجد نفسي ألج حقل الدراسات القرآنية، فقد كنت عضوا في حلقة بحث ضمن مشروع القرآن الكريم، تبحث في القراءات القرآنية وعلاقتها بالظواهر اللفظية والنحوية والصرفية، ولما عدتُ أنا وزملائي إلى المصادر والمراجع المتعلقة بالدراسات القرآنية، وأخص القراءات القرآنية، هالنا كثرتها الكثيرة، فأثرنا الاعتماد على معجم يرصد ويجمع القراءات القرآنية، لتكون دراستنا والنتائج المتوصل أكثر أقرب إلى اليقين، فالمعجم هو عمل موسوعي يعانق الموضوع معانقة شبه تامة، ويقدم لنا خدمة جلييلة في إحصائه للقراءات القرآنية، تُغنيننا عن العود إلى المصادر والمراجع المدونة في هذا المجال، ويفتح لنا بابا للولوج إلى حلقة البحث.

فوقع اختيارنا على معجم القراءات القرآنية لأحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، ومضى البحث إلى ما كان يصبو إليه، فراودني فكرة الكتابة في هذا الموضوع، وهو الظواهر الصوتية وتجلياتها في القراءات القرآنية من خلال هذا المعجم، مركزا على بعض الظواهر مع اختيار نماذج لها من القراءات القرآنية، واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي. ولا شك أن هذا الموضوع قد طرق قبلي كثيرا، فحضورني إلى هذا المجال لايعني السبق أو ما أشبهه، ولكن حسبي أن عودتي إلى هذا الموضوع كانت برغبة الإضافة وتوخي الدقة.

والتأليف والدراسات في هذا المجال لا تُعدّ ولا تُحصى -دون مبالغة مّي- والإتيان على ذكرها يظلّ إتيانا على سبيل الذكر لا الحصر، فمنها القديم والحديث، وبيبلوغرافيا أيّ مُصنّف في القراءات

القرآنية، بوسعها أن تُحقّق المبتغى، وتُبين للمطلّع عليها كثرتها الكاثرة والوافرة. والله من وراء القصد.

2. التعريف بمعجم القراءات القرآنية وصاحبيه:

2.1. التعريف بصاحبي المعجم:

2.1.1. الدكتور أحمد مختار عمر⁽¹⁾:

وُلد د.أحمد مختار عمر بالقاهرة عام 1933م، فحفظ القرآن صغيراً، ثمّ التحق بالأزهر ثمّ دار العلوم وقد حصل على الليسانس منها بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الثانية، وكان أوّل دُفعته سنة 1958م، ثمّ حصل على الماجستير في علم اللغة من كلية دار العلوم بتقدير امتياز سنة 1963م حول تحقيقه وإخراجه ديوان الأدب للفارابي، ثمّ حصل على الدكتوراه في علم اللغة من جامعة كمبريدج ببريطانيا سنة 1967م. وقد شغل الأستاذ أحمد مختار عمر عدّة وظائف، نذكر منها:

✓ اشتغل في مهنة التدريس:

- مُعيداً، مُدرّساً، فأستاذاً، فوكيلاً في كليّة دار العلوم بجامعة القاهرة.
- مُحاضراً، فأستاذاً مُساعداً بكلية التربية بطرابلس.
- أستاذاً مُساعداً، فأستاذاً، فمُدرّساً، فمُعيداً بجامعة الكويت.

¹ مصطفى يوسف، أحمد مختار عمر عاشق اللغة ومخترع المعاجم، موقع حماسة، نشر يوم: 01مارس 2016، تاريخ الدخول: 2021/11/05، الرابط:

(<https://www.hamassa.com/2016/03/01/>)

✓ كان عضواً في:

- هيئة التحرير لمجلة كلية الآداب بجامعة الكويت.
- هيئة التحرير للمجلة العربية للدراسات الإنسانية بجامعة الكويت.
- لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة.
- مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.
- لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة.
- الجمعية الألسنية العربية بالمغرب.
- مجمع اللغة العربية بليبيا.
- لجان التحكيم لعدد من الجوائز والمسابقات.
- لجان منح الماجستير والدكتوراه ولجان الترقية في العدد من الجامعات.
- ✓ كان مُستشاراً للعديد من الهيئات والمؤسسات المصرية والعربية مثل:

- لجنة مدخل قاموس القرآن الكريم بمؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
- لجنة المعجم العربي الأساسي بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- الهيئة الاستشارية لمعهد المخطوطات العربية.
- أما عن جهوده العلمية فكانت كبيرة ومتنوعة: من تأليف، وتحقيق، وترجمة، وبحوث علمية ومقالات. ولكن كانت له الريادة في

ثلاث تخصصات وهي:

1. علم الدلالة: فقد أَلّف فيه كتاباً يُعدّ الأشهر والجامع المانع في مادّته ورؤاه.
 2. مباحث في علم اللغة العربية، حيث كان هو السّباق لِطَرْقِهَا.
 3. صناعة المعجم العربي نظراً وتطبيقاً: فجهوده التّطبيقيّة في عمل المعاجم اللغويّة والثّقافيّة تجعله أبرز المُعجمين العرب المُحدثين. وقد ترك تراثاً كبيراً يضمّ ما يُنيف عن ثلاثين كتاباً نذكر منها: مدخل إلى علم اللغة- تاريخ اللغة العربية في مصر- البحث اللغوي عند العرب- البحث اللغوي عند الهنود- ديوان الأدب للفارابي، تحقيق ودراسة- المُنجد في اللغة لكرّاع، تحقيق بالاشتراك مع د. ضاحي عبد الباقي- دراسة الصوت اللغوي- علم الدلالة- معجم القراءات القرآنية، بالاشتراك مع د. عبد العال سالم مكرم- النّحو الأساسي، بالاشتراك مع د.مصطفى النّحاس زهران، ود. محمد حماسة عبد اللطيف- المعجم العربي الأساسي، بالاشتراك مع جماعة من اللغويين- أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين- صناعة المعجم الحديث- دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته.
- 2.1.2. الدكتور عبد العال سالم مكرم⁽²⁾:

عبد العال سالم مكرم، أستاذ النّحو العربي بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الكويت سابقاً، متحصّل على شهادة الدكتوراه

² عبد العال سالم مكرم/ موقع ويكيبيديا، آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم 12 يناير 2021، تاريخ الدخول: 2021/11/05، الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84_%D8%B3%D8%A7%D9%84%D9%85_%D9%85%D9%83%D8%B1%D9%85

في اللغة العربيّة وأدائها بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى. من خريجي كلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة 1950م، له عدّة أعمال : من تأليف، وتحقيق، وبحوث علميّة.

أما مؤلفاته فهي كثيرة، نذكر منها: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي- الفكر الإسلامي بين العقل والوحي- شواهد سيبويه من المعلقات- القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية- الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني- اللغة العربيّة في رحاب القرآن الكريم- تطبيقات نحوية وبلاغية- التعريب في التراث اللغوي- قضايا قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية- تدريبات نحوية ولغوية في ظلال الدراسات اللغوية- المدرسة النحوية في مصر والشام- غريب القرآن الكريم في عصر الرسول والصحابة- المشترك اللفظي في الحقل القرآني- أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع- أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية- جلال الدين السُّيُوطي وأثره في الدراسات اللغوية- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية- ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للغة العربيّة قبل الإسلام- الترادف في الحقل القرآني.

أمّا في مجال تحقيق الكتب، فمنها ما استفرد بتحقيقه بنفسه، ومنها ما شارك فيه غيره؛ أمّا الكتب التي حققها بنفسه، فلعلّ من أبرزها على سبيل المثال: الأشباه والنظائر في النّحو لجلال الدين السُّيُوطي- الحجّة في القراءات السّبع لابن خالويه- شرح الرّضي على كافية ابن الحاجب.

أما الكتب التي حققها بالاشتراك مع غيره، فلعلّ من أبرزها: معجم القراءات القرآنية، الذي اشترك فيه مع الأستاذ أحمد مختار

عمر- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين السُّيُوطي، الذي اشترك في تخريجه مع الأستاذ عبد السلام هارون.

أما في مجال النَّشر، فقد نشر عدة مقالات، في المجلات العربية، من أبرزها:

- جوانب من أخطاء المستشرقين، دراسة قرآنية، في مجلة الكويت، العدد69، السنة6، 1390هـ، ص 56.
- من دراسات المستشرقين حول القرآن الكريم، في مجلة الوعي الإسلامي، 1970م.
- الاحتجاج بالحديث الشريف في مجال الدراسات النحوية، في شبكة مشكاة الالكترونية.

2.2. التعريف بالمعجم:

1.2.2. منهجية المعجم:

قام الأستاذان أحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم بعمل مُعجمي ضخم، تمثّل في خدمة جليلة قدّماها للمكتبة العربية في مجال القرآنيّات، وبالتحديد في علم القراءات القرآنيّة، إذ أخرجنا كتاباً بعنوان: "معجم القراءات القرآنية مع مقدّمة في القراءات وأشهر القراء". ويعد هذا المعجم من المعاجم المفهّسة القليلة في القراءات القرآنية، وهو الأقرب إلى أنواع المعاجم الأخرى، كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمّد فؤاد عبد الباقي، وإن تضمن بعض التعليقات والشروح المختصرة في الحواشي.

وكانت أوّل طبعة له ما بين سنتي (1982-1985)، بإشراف جامعة الكويت، وهو يقع في ثمانية أجزاء. ثمّ إنّه لمّا لقي رواجاً كبيراً بين الطّلبة والباحثين، ونفذت طبعته الأولى، أُعيد طبعه مرّة ثانية سنة

1988، ولكن هذه المرة قُدِّم إلى الأزهر لِينال مُباركة أزهريّة من العلماء والمشايخ هناك.

ولبيان سبب هذا العمل يقول صاحباً المعجم: « وحرصاً منّا على أن يكون عملنا ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلاميّة، وسلامة القراءات القرآنيّة قدّمنا الجزأين الأوّل والثاني من معجم القراءات إلى جامعة الأزهر أكبر جامعة إسلاميّة في العالم الإسلامي..وقد أحال مَجْمع البحوث الإسلاميّة، هذين الجزأين إلى لجنة من الخبراء المُختصّين بالقراءات القرآنيّة، وعلى رأسها الشّيخ محمود برانق، وكيل لجنة المُصحف الشّريف بالأزهر، وبعد البحث والدقيق والمُراجعة، أصدرت لجنة الأزهر قرارها بأنّ المعجم ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلاميّة، ولا مانع من إعادة طبعه ثانية، ونحمد الله على صدور هذا القرار الذي بارك عملنا وحصّنه من كلّ ما يمسّ العقيدة»⁽³⁾.

ثمّ أعيد طبعه مرّة ثالثة، ولكن هذه المرّة من دار نشر خاصّة وهي عالم الكتب، في حلّة جديدة ومُراجعة دقيقة وتنقيح من المُؤلّفين، وكان هذا سنة 1997. وقد وقع اختياري على هذه الطّبعة لكونها منقّحة ومُعدّلة، وقد تُدورِك فيها ما وقع من زلّات وأخطاء سابقة.

يحتوي المعجم في طبعته الثّالثة على ستّة أجزاء، وهي مُقسّمة

كالآتي:

³ أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1997، ج01، ص"ز".

- الجزء الأول: ويحوي مقدّمة في القراءات وأشهر القراء، ثمّ عمليّة الإحصاء والتّجميع للقراءات من أوّل سورة الفاتحة إلى آخر سورة النّساء.
- الجزء الثّاني: من أوّل سورة المائدة إلى آخر سورة الحجر.
- الجزء الثّالث: من أوّل سورة النحل إلى آخر سورة القصص.
- الجزء الرّابع: من أوّل سورة العنكبوت إلى آخر سورة النّجم.
- الجزء الخامس: من أوّل سورة القمر إلى آخر سورة النّاس.
- الجزء السّادس: فقد ضُمّن مجموعة من الفهارس، للألفاظ، والأعلام، والظّواهر اللّغوية.

وقد اعتمد صاحب المعجم على منهجيّة مُحكمة ودقيقة، تمثّلت في إحصاء القراءات القرآنية من أمّهات الكتب ورصدها على شكل جداول، يسهل على القارئ تصفّحها والبحث من خلالها عمّا يرجو ويتبغى دون كَلَل أو مَلَل، خلافا لطريقة القُدماء المتمثّلة في سرد القراءات استرسالا، والتي تتطلّب الجُهد والوقت، والعجيب أنّ عبد اللّطيف الخطيب قد ألف معجما للقراءات القرآنية بعدهما، وسار على هذا النهج القديم في معجمه فأتعب القارئ والباحث، وكان لمعجمهما مزيّة عليه.

هذه الجداول رُسمت بستّ خانات، وهي موزّعة على النّحو التّالي: في الخانة الأولى يُذكر الرقم التّسلسلي في المعجم، من بدايته إلى آخره، وفي الخانة الثّانية رقم الآية، وفي الثّالثة النّص المُصحفي، وفي الرّابعة أوجه القراءة، وفي الخامسة القارئ، ويبدأ بالقراء العشرة ثمّ من يليهم، وفي السّادسة المراجع التي أُخذت منها هذه القراءات. مع العلم أنّ النّص المُصحفي قد اعتمد فيه على رواية حفص عن عاصم

أساساً، ثمّ ما يُقابله من القراءات معزّوة إلى أصحابها، أمّا ما وافقها فلا يُذكر.

وقد اعتمد صاحباً المُعجم على عشرين مصدراً أثناء عملية التّجميع والاستقراء للقراءات القرآنية، وقد أثبتت هذه المصادر في كلّ صفحة، ورُمز لها برموز ليسهل إثباتها في الجداول. أمّا ما وُجد من القراءات غير منسوب، فإنّه يُستعانُ بكتب أخرى لنسبته، وتُذكر هذه الكتب في الحواشي. وإليك نموذجاً من سورة القصص⁽⁴⁾:

اتحاف الفضلاء= اتف؛ الإعراب للنحاس= اعن؛ الإملاء للعكبري=امع؛
البحر المحيط= بحر؛ التبيان للطوسي= تب؛ التيسير للداني= يسر؛
تفسير الطبري= طبر؛ تفسير القرطبي= جامع؛ الحجة لابن خالويه=
حجل؛ الحجة لأبي زرعة= حجز؛ السبعة لابن مجاهد= سبعة؛ الغيث
للصفاقسي= غيث؛ الكشاف للزمخشري= كشاف؛ الكشف للقيسي=
كشف؛ المجمع للطبرسي= مج؛ المحتسب لابن جني= مج؛ المعاني
للأخفش= معش؛ المعاني للفراء= معف؛ تفسير الرازي= فخر؛ النشر
لابن الجزري= نشر.

2.2.2. بعض المؤاخذات على المعجم:

يُؤخذ على المُعجم جملة من الأمور نذكر منها:

- إغفاله لبعض كتب القراءات، والتي عُنيت بذكر أوجه القراءات، وخاصة الشّاذة منها، كإعراب القراءات الشّواذ للعكبري، ومختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، والحجّة للقراء السّبعة لأبي علي الفارسي، والمبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني، واختلاف القراء السبعة في الياءات لابن غلبون، والتذكرة في

⁴ أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، (م.س)، ج03، ص345.

- القراءات الثمان لابن غلبون، ومعاني القراءات لأبي منصور الأزهري، وروح المعاني للآلوسي، مما ينجم عنه إهمال لذكر بعض القراءات، فيكون العمل ناقصاً غير جامع.
- خلطه بينه القراءات المتواترة والشاذة، فقد جمعت في خانة واحدة، دون أيّ إشارة تُفرّق بينهما، فيختلط على الباحث الأمر، ويضطرّ للرجوع إلى غيره من المراجع ليتبين ذلك، فلا يُغنيك المُعجم عن العود إلى غيره، فيكون غير مانع.
 - إغفاله لذكر بعض القراءات، وعدم عزو بعضها إلى قارئ معين، رغم أنّ بعض الكتب ذكرت أصحابها ونسبتها إليهم كالبحر المحيط، ومختصر شواذ القرآن، والنشر، والإتحاف والكشاف. وإذا كان هناك ما يُبرّر للمؤلّفين إدراج القراءات الشاذة في المعجم، فما الذي يُبرّر وجود قراءات لا قارئ لها، وليس مجرد القول بأنّ هذه القراءة أو تلك قد قرئ بها، كفيل بأن يجعل منها قراءة ثابتة ومعتمدة.
 - اعتماده على قراءة حفص أساساً، وبقية القراءات تُعرض على أنها أوجهٌ للقراءة، وهذا قد يُضللُّ القارئ، فيظنّ أن قراءة حفص هي عين قراءة الجمهور، وليس كذلك فقراءة حفص قد تُخالف قراءة الجمهور وقد تُوافق، والأولى بهما أن يجعلاً قراءة حفص هي النصّ المصحفي المعتمد ثمّ يُعاد ذكرها في أوجه القراءة مع من قرأ بها من بقية القراء، ثم تذكر الأوجه الأخرى من القراءات.
 - خلل في ترقيم بعض الكلمات مثلاً في سورة المائدة قوله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [سورة: المائدة - الآية: 50]. هي الآية رقم (50) في المصحف لكنها مرقمة في المعجم (51).

3. الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية:

3.1. الهمز:

3.1.3. التعريف الاصطلاحي:

إنّ الهمزة من أصعب الحروف في النطق وذلك لبعده مخرجها، إذ تخرج من أقصى الحلق، كما اجتمع فيها صفتان من صفات القوة وهما: الجهر والشدة⁽⁵⁾، وصوت الهمزة ينتج من انطباق الوترين الصوتيين والعُضروفين الهميين -في الحنجرة- انطباقاً كاملاً وشديداً، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقاً، فيُحبس داخل الحنجرة، ثم يُسمح له بالخروج على صورة انفجار⁽⁶⁾.

هذا هو الوصف الحديث للهمزة، ويرد عند علماء الأصوات بهذا التفصيل الذي ذكرناه، أمّا الهمز عند العلماء القدامى، فقد اختلفوا فيه اختلافاً كبيراً، فاختلفوا في صفته وفي نوعه، أهو حرف صحيح أم حرف علة؟ أم هو شبيه بحرف العلة؟ ولا نريد أن نسترسل في العرض لهذا الاختلاف لأننا لا نجني منه كبير فائدة، ولكنّ الأهم من ذلك كلّهُ، كيف ألقى الخلاف بين قبائل العرب بظُلّه على النطق بالهمز في القراءات القرآنية؟

3.1.3. الهمز عند القبائل العربية:

إنّ المتتبع لروايات القدامى وما درج عليه المحدثون في تأريخهم لهذه الظاهرة، معتمدين في ذلك على بعض الروايات الموثقة في كتب الأدب والمعاجم، يرى أنّهم يُجمعون على أنّ التزام الهمز وتحقيقه من

⁵ محمد سالم محيسن، المقتبس من اللهجات العربية القرآنية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، (دت)، ص 74.

⁶ عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط)، 1966، ص 24.

خصائص قبيلة تميم وغيرهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقها، والتخلّص من الهمزة بحذفها أو تسهيلها، أو قلبها حرف مدّ، من خصائص البيئة الحجازية ومن أشهرها قبيلة قريش⁽⁷⁾.

ولكنّ الجزم بهذا الرأي هو من قبيل الاحتمال لا اليقين، وهو

مدفوع بما يلي من الحجج

- ليس هناك معجم رصد الاختلافات اللّهجاتية بصورة دقيقة لا يرقى إليها الشك، ويبقى اعتمادهم على مجرد روايات تُعزى إلى بعض الرّواة غير مقبول منهجياً، ولا يُمكن التّعويل عليها والحكم عليها بالوثوقيّة التامة، فهي قابلة لأن يُطعن فيها، فلا يمكن أن يُتقبّل ما جاء في لسان العرب " عن أبي زيد قال : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون"⁽⁸⁾، فهذه الرواية مع غيرها لا تنهض حجة ساطعة لأنها مدفوعة بما شاع في اللّغة الأدبيّة النّموجية التي التّزمت في الخطب والشّعر، والهمز كان محققاً فيها، ولا أثر للتّسهيل أو الإبدال فيها، فإن كان التّخلّص من الهمز شائعاً فيهم، وهم من هم في الريادة والمكانة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية، فلم يعدلون عنه إلى غيره ؟ أفُقِقال أنهم استعاروا ذلك من باقي تميم، أليس الأوّل أن تكون هذه القبيلة تبعاً لهم ؟

- إنّ صعوبة تحديد الأطلس اللّهجاتي يقف حاجزاً أمام الباحثين، ذلك أن أكبر ما يتكثرون عليه، هو مجرد روايات متناثرة في كتب اللغة والأدب، والتّعويل عليها لا يُعطي الوثوقيّة التامة في إصدار الأحكام، يقول د. إبراهيم السمرائي: «إن التراث الذي يتّصل

⁷ إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط6، 1984، ص75-76.

⁸ جمال الدين ابن منظور(ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دط)، 2000، مادة

باللغات مما ندعوه في عصرنا باللّهجات، علم لا نستطيع بيّسر أن نُصنّفه ونعزوه إلى قبيلة بعينها.. وليس لنا أن نقول: إنّ هذا تميمي خالص، فكثير ممّا يُنسب إلى تميم يكون لقيس وأسد في الوقت نفسه، وليس لنا أن نحمل ما يُعزى إلى الحجاز فنقول: إنه حضريّ منقطع الحضارة، ذلك أن شيئاً مما هو حجازي قد يكون بدويّاً»⁽⁹⁾.

• قراءة ابن كثير التي التزم فيها تحقيق الهمزة وهو مكّي، وقد شكّل للدّارسين عثرة وعائقاً، لأنّهم لمّا أرادوا القول بتعميم ظاهرة ترك الهمز في قريش، لم يستطيعوا لوجود قراءة ابن كثير، حتى قال إبراهيم أنيس: «ولو أنّ ابن كثير اشترك معها في تلك الصّفة، لاستطعنا بسهولة أن نحكم على أن القراء قد التزموا ما عُرف عن بيئتهم من الهمز أو عدمه»⁽¹⁰⁾، فابن كثير وغيره قد خالفوا ما عُهد عن لغة قريش من التّخلّص من الهمزة وإسقاطها، وهي قراءة متواترة من القراءات السبع، ويدعم كذلك د. إبراهيم أنيس رأيه على أنّ أهل الحجاز لا يهمزون، بالاحتجاج بقراءة أبي جعفر ونافع من رواية ورش، فهما قارنا المدينة المشهوران، وقد تخلّصا من تحقيق الهمزة لأنّهما من البيئتين الحجازية، ويُرَدّ عليه بأنّ قراءة نافع من رواية ورش قد تحقّق فيها الهمز في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الأحزاب/01)⁽¹¹⁾، والمعجم يكفيك عناء البحث عنها، إذن فالإشكال هنا قائم وأكبر من أن يُقَعَدَ له، فلا الروايات

⁹ إبراهيم السمراي، في اللّهجات العربية القديمة، دار الحدّانة، بيروت، ط1، 1994، ص12.

¹⁰ إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، (م.س)، ص79.

¹¹ محمّد ابن الجزري (ت833هـ)، النّشر في القراءات العشر، تقديم علي محمد الضّبّاع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ج02، ص260.

يُمكن أن تُشكّل إجماعاً على خصوصية قبيلة دون أخرى بالهمز أو عدمه، ولا القراء أنفسهم التزموا خطأً واحداً في تحقيق الهمزة أو تسهيلها، حتى يُقال مثلاً أنّ القارئ الفلاني من أهل الحجاز وقد التزم التّخلّص من الهمزة، فهي حُجّة مردودة وواهية.

- الهمزة حرف أصيل في اللّغة العربيّة، ولا يُمكن بأيّ حال من الأحوال أن يُطاح به، ويُتساهل في قراءته بأوجه عديدة تكاد تُشوّه صورته الأصليّة المرسوم عليها، وهو يُؤدّي مهمّة كبيرة في تحديد المعنى، والغاؤه له أثره الكبير في تغيير معنى الكلام رأساً على عقب، ولا يُعاب إن نُسب تحقيق الهمز إلى البوادي دون أهل الحضر، فهم أهل الفصاحة والبلاغة، ألا ترى أنّهم كانوا يُرسلون أبناءهم إلى البوادي لتلقي اللّغة الصّافية السّليمة من منبعها الأصلي كما تروي لنا كتب السّير والأدب، ولأنّ أهل الحضر قد اختلطوا بالأمم الأخرى الدّخيلة فتسرّب إلى لسانهم اللّحن بل وتفشّى، وعُرف عنهم الميول إلى السرعة في الكلام فيقع الاختزال فيه، وإسقاط الحروف والابتعاد عن تحقيقها.

- بعد استعراض مجموعة من القراءات في الهمز ننتيّن الحقائق التّالية:

1. أنّ أبا جعفر قارئ المدينة كان أكثر القراء ميلاً إلى تسهيل الهمزة أو تسهيلها، وهو بذلك يُمثّل بيئته في هذه الظاهرة خير تمثيل.
2. أنّ نافعاً قارئ المدينة لم يُرو عنه تسهيل الهمزة في هذه القراءات إلا في حروف قليلة.

3. أنّ ابن كثير قارئ المدينة لم يُرَوِّ عنه شيء من التسهيل في هذه القراءات كلها، ومعنى ذلك أن قراءته- من هذه الناحية- لا تُصَوَّر بيئته بحال.

4. أن هذه القراءات تَوْضِّح لنا -بما لا يدع مجالاً للشك- أن تحقيق الهمزة كان أكثر انتشاراً من تسهيلها⁽¹²⁾.

فما ذكرناه من حجج وأدلة ينقض ما ادَّعَوْه في باب الهمزة من آراء، والتي لا تعدو أن تكون إلا مجرد اجتهادات وتأويلات للوصول إلى التعليل لهذه الظاهرة.

3.1.3. أشكال الهمزة بين اللغويين والقراء:

يختلف التَّعامل مع حرف الهمزة بين اللغويين والقراء، فكثيراً ما ينحو أهل اللِّغة والنَّحو في استقراءهم للظواهر اللغوية واللّهجاتية، نحو مُحاصرة الظَّاهرة ووضعها في قوالب ثم استنباط القواعد منها، ثمَّ العود إلى تحكيم هذه القواعد على اللِّغة انطلاقاً مما خُلصوا إليه بعد طول استقراء، وعلى غرار هؤلاء نجد أنّ القراء يُفصِّلون في تتبُّع أقسام الظَّاهرة اللغوية كالمهمز مثلاً، تبعاً لما رَوَوْه من وجوه متعدّدة في القراءة الواحدة، وحجَّتهم في ذلك الرواية المعزّوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم وإن لم تَرُق هذه القراءات آل اللِّغة والنَّحو.

وقد سبق أن ذكرنا أنّ الهمز حظي بعناية خاصّة من اللغويين والقراء على سواء، والسبب في ذلك يعود إلى اختلاف وتعدّد الروايات في تحقيق الهمزة وتسهيلها، وكثرة الوجوه القراءاتية في الآية الواحدة، مما

¹² عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1999، ص118.

يُؤدِّي بنا إلى إيجاد سرِّ العلاقة بين القراءات القرآنية واللّهجات العربيّة، لذا سنورد هذا الخلاف بين الفريقين وما يترتب عليه.

يرى سيبويه أنّ الهمزة على ثلاثة أقسام، فيقول: «إعلم أنّ الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء، التحقيق والتخفيف والإبدال»⁽¹³⁾، وأما مكّي بن أبي طالب القيسي فيرى أنّ: «الهمزة حرف ثقيل، فغيّرتة العرب لثقله، وتصرّفت فيه، ما لم تتصرف في غيره من الحروف، فأتت به على سبعة أوجه مستعملة في القرآن والكلام، جاءت به محققاً، ومخفّفاً ومُبدلاً بغيره، وملقى حركته على ما قبله، ومحدوفاً ومُثبتاً، ومُسَهّلاً بين حركته والحرف الذي منه حركته»⁽¹⁴⁾.

وبما أنّ الكلام على الهمزة يطول بنا جدّاً إذا رُحنا نستقصي أحوالها في كتب اللّغة والقراءات، فليس المقام هنا بسط هذه القواعد والنظريات، لذا فإنّنا نستقصر على معالجة هذه الظاهرة الصوتية انطلاقاً من بعض الأمثلة:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكْ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون/14).

الشاهد في هذه الآية هو كلمة "أنشأه" حيث قرأها السّوسي بالإبدال، وقد وردت هذه اللفظة أربع مرّات في هذه السورة بقراءة الإبدال مع القارئ نفسه⁽¹⁵⁾. وترد هذه الهمزة عند اللّغويين والنّحاة في

¹³ عمرو بن عثمان سيبويه(ت180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1982، ج3، ص541.

¹⁴ مكّي بن أبي طالب القيسي(ت437هـ)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد محسن فرحات، دارعمار عمان، ط3، 1996، ص74.

¹⁵ أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، (م.س)، ج4، ص323-324-328-332.

باب الهمزة المفردة الساكنة، ويرون أنّها تُبدل بحرف من جنس حركة الحرف الذي قبلها، وبأنّ ما قبلها مفتوح فإنّها تُبدل هنا ألفاً، يقول سيبويه: « إذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تُخفّف أبدلت مكانها ألفاً...»⁽¹⁶⁾.

والفعل " أنشأ " فعل رباعي مهموز، والهمزة فيه أصلية، فلماذا يُعدل عن هذا الأصل إلى الإبدال بمجرد تصريف الفعل مع باقي الضمائر كما هو الحال هنا، فالسكون الطارئ على الهمز كان سببه تصريف الفعل مع ضمير الجمع "نحن"، والمقصود هنا في الآية ذاته العليّة، أي المتكلم المعظم نفسه، فقرأها السّوسي منفردا بالإبدال على الرّغم من أن تحقيق الهمز هو الفصاحة، مراعاة لأصالته في الكلمة، لذا نرجّح قراءة الجمهور على قراءة السّوسي لهذا الاعتبار التي ذكرنا.

المثال الثاني: كلمة " أئمة "

وردت في القرآن خمس مرّات:

في قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ (التوبة/12).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء/73).

وقوله: ﴿وَنَجْعَلِهُمُ أئِمَّةً وَنَجْعَلِهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص/05).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾

(القصص/41).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يُوقِنُونَ﴾ (السجدة/24).

¹⁶ عمرو بن عثمان سيبويه(ت180هـ)، الكتاب، (م.س)، ج03، ص543. وأبو عمرو الداني (ت444هـ)، التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1984، ص34. ومحمّد ابن الجزري(ت833هـ)، النّشر في القراءات العشر، (م.س)، ج01، ص303.

قرئت هذه الكلمة على النحو التالي⁽¹⁷⁾:

- ابن عامر- عاصم- حمزة- الكسائي- ابن ذكوان- خلف- وفي رواية عن نافع- ابن أبي أُويس ← بتحقيق الهمزتين
- نافع- ابن كثير- أبو عمرو- رُويس ← بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، وإبدالها ياء خالصة مع عدم الإدخال.
- أبو جعفر ← بتسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال.
- هشام ← بالتحقيق مع الإدخال وعدمه.

هذه هي الوجوه التي قرئت بها لفظة " أئمة" في المواضع الخمس، إلا أن هناك إشكالا يُطرح حول قراءة التحقيق التي قرأ بها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وغيرهم، فقد ضعف اللغويون والنحاة هذه القراءة، بل هناك من حكم عليها بالشذوذ، فهذا سيبويه يقول: «واعلم أنّ الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بدّ من بدل الآخر، ولا تُخَفَّف لأتّهما إذا كانتا في حرف واحد لزم التقاء الهمزتين..»⁽¹⁸⁾، ويقول في موضع آخر: «وزعموا أنّ ابن أبي إسحاق كان يُحَقِّق الهمزتين وأناس معه، وقد تكلم ببعضه العرب وهو رديء»⁽¹⁹⁾، وقال النحاس: «فأكثر النَّحويين يذهب إلى أن هذا لحن لا يجوز، لأنه جمع بين همزتين في كلمة واحدة»⁽²⁰⁾، وقال ابن جني: «ومن شاذّ الهمز عندنا قراءة

¹⁷ محمد سالم محيسن، المهذب في القراءات العشر وتوجيهها، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2002، ج01، ص261 / ج02، ص153-221-247.

¹⁸ عمرو بن عثمان سيبويه(ت180هـ)، الكتاب، (م.س)، ج03، ص551.

¹⁹ عمرو بن عثمان سيبويه(ت180هـ)، الكتاب، (م.ن)، ج04، ص443.

²⁰ أبو جعفر النحاس(ت338هـ)، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2004، ج02، ص111.

الكسائي أئمة، بالتخفيف فيهما»⁽²¹⁾، ويقول ابن هشام: «..وإن كانتا مُتحرّكتين، فإن كانت في الطّرف أو كانت الثّانية مكسورة، أُبدلت ياء مطلقاً»⁽²²⁾.

ولكن رأي النحاة هنا غير مقبول للأسباب التالية:

- أنّ هذه القراءة من القراءات المتواترة، والثّابتة، وأنّ أصحابها من القراء السبعة المشهود لهم بالريادة في علم القراءات بالإجماع، كابن عامر والكسائي وعاصم وغيرهم، فلا يجوز إنكارها ووصفها بالضعف والشذوذ لأن القراءة سنّة متبعة.
- إنّ عدم موافقة هذه القراءة للقواعد التي وضعها اللغويون والنحاة لا يعني عدم صحّتها، لأن القراءة هي السّابقة والقواعد لاحقة، ولا يُحكّم اللاحق على السّابق، ولا يصحّ أن يكون حجّة على القرآن الكريم، لأن القرآن وقراءته فوق النحو وقواعده.
- إنّ التّحقيق أصل من أصول العربيّة، وهو ما سار في اللّغة المثالية عند الشّعراء والفصحاء والبلغاء.

3. 2. الإدغام:

يُعتبر الإدغام من الظواهر اللغوية التي اهتمّ بها العلماء والدّارسون قديماً وحديثاً، من لغويين ونحويين وقراء، ووضعو لها ضوابط وقواعد اختلفوا في تفسيرها وتحليلها، كما هو الحال في كثير من القضايا اللغوية واللهجاتية، وأما استقراؤهم لظاهرة الإدغام

²¹ أبو الفتح ابن جني(ت392هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، (دت)، ج 03، ص14.

²² ابن هشام الأنصاري(ت761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق مصطفى السّقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط6، 1996، ج03، 325.

والتأصيل لها بمعرفة مكان تواجدها قبلياً، فذلك ضرب من المحال إذ يتعسّر على الباحثين كثيرا الجزم بأطلس لهجاتي للظواهر اللغوية، فضلا عن تحديدها بصفة تفصيلة ومدقّقة.

وبما أن الإدغام يمسّ بصفة مباشرة القراءات القرآنية، فقد فتح بابا للتعليقات والتفسيرات، إذ ينطرح هنا إشكال كبير حول الإدغام الكبير المنسوب إلى القارئ أبي عمرو بن العلاء، حيث يُسكّن المتحرك ليُدغمه في الحرف الذي بعده، وهو ما يستثقله اللسان ويتعسّر النطق به، مما دفع بعض النحاة كسيبويه لأن يُفضّل الإظهار على الإدغام، بل إنّ بعضهم قد خطأ هذه القراءة ولحّنها، وأرجع السبب في ذلك إلى خطأ الرّواة والنقّلة، كما فعل الزمخشري، وعلّله البعض الآخر بأنه إخفاء لا إدغام.

3. 2. 1. التعريف الاصطلاحي:

يقول ابن يعيش: « أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك، من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد، ويرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة، فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام»⁽²³⁾، ويقول ابن جني: «قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد، إنّما هو تقريب صوت من

²³ أبو البقاء ابن يعيش(ت643هـ)، شرح المفصل، قدم له ووضع هوامشه إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج05، ص512.

صوت»⁽²⁴⁾، ويقول ابن عصفور الإشبيلي: «الإدغام هو رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة، ووضعك إياه بهما موضعاً واحداً»⁽²⁵⁾.

هذا عند النحاة، وأما عند القراء، فيقول ابن الجزري: «اللفظ بحرفين كالثاني مشدداً»⁽²⁶⁾.

3. 2. 2. أقسام الإدغام:

قسّم النحاة الإدغام إلى ثلاثة أقسام: إدغام المتماثلين، وإدغام المتقاربين، وإدغام المتجانسين، فالحرفان المدغمان إمّا أن يتّفقا مخرجا وصفة، وهو ما سُمّي بالمتماثلين، أو أن يتّفقا مخرجا ويختلفا صفة، وهو إدغام المتجانسين، أو أن يتّفقا مخرجا وصفة، أو مخرجا وصفة، وهو إدغام المتقاربين⁽²⁷⁾.

أمّا عند القراء فينقسم إلى قسمين:

1- الإدغام الكبير: فهو ما كان الأول من الحرفين فيه مُتحرّكاً⁽²⁸⁾، أو بتعبير آخر: هو الذي يفصل فيه بين الصّوتين السّاكنين صوت لين قصير (أي حركة)⁽²⁹⁾.

²⁴ أبو الفتح ابن جني (ت392هـ)، الخصائص، (م.س.)، ج02، ص139.

²⁵ ابن عصفور الإشبيلي (ت669هـ)، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط5، تونس، الدار العربية للكتاب، 1973، 631/02. و الفارسي، أبو علي الحسن: التكملة، تحقيق حسن شاذلي فراهود، (دط)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص273.

²⁶ محمّد ابن الجزري (ت833هـ)، النّشر في القراءات العشر، (م.س.)، ج01، ص274.

²⁷ رضي الدين الأستراباذي (ت686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد زفاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، 1975، ج03، ص234-235.

²⁸ محمّد ابن الجزري (ت833هـ)، النّشر في القراءات العشر، (م.س.)، ج01، ص274.

²⁹ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، (م.س.)، ص71.

2- الإدغام الصَّغِير: وهو أن يتجاور الصَّوْتَانِ السَّاكِنَانِ، دون فاصل من أصوات اللَّيْنِ⁽³⁰⁾.

3. 2. 3. أسباب الإدغام:

علل اللغويون لظاهرة الإدغام والسبب الباعث لها بتعليلات تكاد تكون متقاربة، فهذا ابن يعيش يقول: «والغرض بذلك طلب التخفيف لأنه ثقل عليهم التكرار والعود إلى حرف بعد النطق به، وصار ذلك ضيقاً في الكلام بمنزلة الضيق في الخطو على المقيّد، لأنه إذا منعه القيد من توسيع الخطو صار كأنه إنّما يُقَيّد قدمه إلى موضعها الذي نقلها فيه فثقل ذلك عليه، فلمّا كان تكرير الحرف كذلك في الثقل حاولوا تخفيفه، بأن يُدغموا أحدهما في الآخر فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرّر وضعة واحدة، ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة، لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه»⁽³¹⁾. وأمّا ابن عصفور فيرى أنّ سبب الإدغام يرجع إلى: «أنّ النطق بالمثلين ثقيل، لأنك تحتاج فيهما إلى إعمال العض الذي يخرج منه الحرف المُضَعَّف مرتين، فيكثر العمل على العضو الواحد... وأيضاً فإنّ الحرفين إذا كانا مثلين فإنّ اللسان يرجع في النطق بالحرف إلى موضعه الأول، فلا يتسرح اللسان بالنطق كما يتسرح في الغَيْرَيْنِ، بل يكون في ذلك شبيهاً بمشي المقيّد، فلمّا كان فيه من الثقل ما ذكرت لك، رفع اللسان بهما رفعة واحدة ليقلّ العمل ويخفّ النطق بها على اللسان»⁽³²⁾.

3. 2. 4. علاقة الإدغام بالقبائل العربية والقراء:

³⁰ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، (م.ن)، ص71.

³¹ أبو البقاء ابن يعيش (ت643هـ)، شرح المفصل، (م.س)، ج05، ص513.

³² ابن عصفور الإشبيلي (ت669هـ)، الممتع في التصريف، (م.س)، ج02، ص631.

يُحاول اللّغويون حين استقراءهم للهجات ولغات القبائل العربية، تحديد أطلس عام لها، ولكنهم يجدون صعوبات في ذلك، فضلاً عن إيجاد تقسيم دقيق يُوَضِّح ذلك ويُفَرِّق بين البيئات العربية، لأنهم دوماً يميلون في تصوّراتهم إلى فرص منطق الانعزالية والاختصاص اللّهي لقبيلة دون أخرى، بينما نجد أنّ العرب كانوا يتأثرون ببعضهم البعض في كل المجالات: الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، بل وبمن جاورهم من الأمم الأخرى كفارس والروم، فتختلط ألسنتهم ويأخذ بعضهم عن بعض، يقول الدكتور إبراهيم السمراي: «.. فكيف يدّعي الباحثون الجدد أنّهم يرسمون لغات العرب القديمة، فهذا يبحث في لغة تميم، وآخر في لغة هذيل، وهكذا جرت محاولات لرسم لغات القبائل؟ ولكنك لو فحصتها لم تجد إلاّ مُخَلَّفَات لُغوية خاصة بهذه القبيلة، وقد تشركها قبيلة أخرى»⁽³³⁾.

كما أنّ الأسواق الأدبية في الجاهلية في عكاظ وما جاورها، لخير دليل على هذا التّلاقح الفكري والتأثر اللغوي والثقافي، ومع ذلك يُحاول بعض اللّغويين والدّارسين لتطور اللغة إيجاد تلك الخيوط الرفيعة لنسبة لهجة أو لغة ما إلى أصحابها، أين كان مهدُ نشأتها.

ولكن ما نتعجّب له أنّنا نقرأ في كتب الرّواية والأدب أنّ أهل البادية هم أهل الفصاحة والبلاغة وإلهم شدّ العلماء الرّجال لتدوين اللغة ورصدها، وأنّ أهل الحضرة أميل إلى اللّحن واختصار الكلام، ولكن الدكتور إبراهيم أنيس مثلاً حين يُعلّل لظاهرة الإدغام وأصل تواجدتها يرى أنّ الإدغام يظهر أثره بجلاء ووضوح بين البدو، وفي القبائل التي لا تكاد تستقرّ على حال، وأنّ البيئة العراقية قد نزع إليها قبائل أقرب إلى

³³ إبراهيم السمراي، في اللهجات العربية القديمة، (م.س)، ص 22.

البدو ممّن عاشوا في البيئة الحجازية، فأمكننا أن نتصوّر أن الإدغام كان أكثر شيوعاً في لهجات القبائل النّازحة إلى العراق⁽³⁴⁾، ولكنه لما أراد أن يُطبّق رأيه هذا عند استقراءه للقراءات القرآنية وقع في حيرة من أمره، فلا قرءاء العراق التزموا بالإدغام وأهمّلوا الإظهار، ولا قرءاء الحجاز آثروا الإظهار وتركوا الإدغام، ولا ننسى قرءاء الشام كذلك، فإنه يبقى حكماً عامّاً احتمالياً لا يمكن الجزم به.

وفي هذا يقول إبراهيم أنيس: «إذا استعرضنا آراء القراء في إدغام الأمثلة أو إظهارها وجدناهم طائفتين: منهم من يؤثّر الإدغام: وهم أبو عمرو، والكسائي، وحمزة، وابن عامر، وخلف، وإن اختلفت النسبة بينهم، أما الذين يؤثرون الإظهار فهم: ابن كثير، ونافع، وأبو جعفر، وعاصم، ويعقوب، بنسب مختلفة أيضاً، فعمن أخذ هؤلاء وهؤلاء؟ وبأي القبائل تأثروا في ميلهم للإدغام أو الإظهار؟ الحقّ أنّ الإجابة عن مثل هذا التّساؤل ليست بالأمر الهين اليسير، لأنّ أصحاب الإدغام ليسوا جميعاً من بيئة واحدة، ومنهم الكوفي كالكسائي وحمزة وخلف، ومنهم البصري كأبي عمرو، ومنهم الشامي كابن عامر، كذلك أصحاب الإظهار ليسوا من بيئة واحدة، ومنهم الكوفي كعاصم، والبصري كيعقوب»⁽³⁵⁾.

ويقول الدكتور السمرائي في نفس السّياق: «ولا يستطيع الدّارس أن يدعي أن الإدغام خاصّ بلغة من اللّغات، فإذا عرفنا أن الجمهور قد قرؤوا: ﴿فَلَا يَعْزُرْكَ تَقْلَهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ (غافر/04)، وإنّ زيدا بن عليّ وعبيد بن عمير قرأوا: ﴿فَلَا يَعْزُرْكَ﴾، وهي لغة تميم،

³⁴ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، (م.س)، ص 71.

³⁵ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، (م.س)، ص 72.

وجدناهم قرؤوا: ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ (آل عمران/49)، بالإدغام، وقد وصف الطبري هذه القراءة بالجود، وقال: لا يجوز القراءة بغيرها لتظاهر النقل من القراءة بها»⁽³⁶⁾.

والإظهار والإدغام كلاهما قد ورد في القرآن الكريم، سواء أكان الغالب في الحجاز أو العراق، أما الإظهار فنحو قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (آل عمران/120)، وقوله أيضا: ﴿مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (طه/81)، وقوله أيضا: ﴿وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لقمان/19)، أما الإدغام فنحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر/04)، إلا أن الإظهار هو الغالب في الآيات القرآنية.

3. 2. 5. إشكال الإدغام الكبير عند أبي عمرو:

يعترض سبيلنا عند الكلام عن الإدغام الكبير (وهو تسكين المتحرك وإدغامه فيما بعده)، ما لا يخفى على القارئ من مشقة ذلك وعسره، ولماذا نميل عن قراءة الإظهار-وهي الأفصح- إلى قراءة الإدغام؟ فنُخالف بذلك الطبيعة والسجّية في النطق بالحروف على ما هي مرصودة به خطأً.

ولحلّ هذا الإشكال وجب تتبّع أصل ومصدر هذه القراءة، وإسنادها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مادامت القراءة سنّة متبعة كما هو معروف، يقول ابن الجزري في نسبة الإدغام للقراء: «فأمّا رواته (أي الإدغام الكبير) فالمشهور به والمنسوب إليه والمختصّ به من الأئمّة العشرة هو أبو عمرو بن العلاء، وليس بمنفرد به، بل قد ورد أيضا عن الحسن البصري، وابن محيصة، والأعمش، وطلحة بن

³⁶ إبراهيم السمرائي، في اللهجات العربية القديمة، (م.س)، ص 39-40.

مصرف، وعيسى بن عمر، ومسلمة بن عبد الله الفهري، ومسلمة بن محارب السدوسي، ويعقوب الحضرمي، وغيرهم»⁽³⁷⁾.

والذي يتصدّر القائمة من القراء العشرة في الإدغام الكبير، ويحمل على عاتقه رفع لوائه، قارئ البصرة ونحوها دون منازع: أبو عمرو بن العلاء. ولكن لماذا اختصّ به واشتهر عنه، دون غيره من القراء؟ وما هي الأسباب في اختيار أبي عمرو في قراءته للإدغام الكبير؟ وقد ألف الدكتور عبد الصبور شاهين كتابا عن أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، واتخذ من القارئ أبي عمرو نموذجا، فقرر بأنّ أبا عمرو مال إلى هذا الاختيار في القراءة للأسباب التالية:

- قراءته على كثير من الأئمة، ومن بين الروايات التي جمعها روايات الإدغام.
- الاستشعار بالاعتزاز بقومه كونه بصريا، وقد برز آنذاك الصّراع القبلي، فكان اختيار أبي عمرو لقراءته من بين ذلك الحشد الهائل من الروايات والقراءات.
- قول مأثور عنه: «إنّ الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يُحسنون غيره»، وبذلك يدعم اتّجاهه في القراءة بالإدغام⁽³⁸⁾.

ولكن اختيار أبي عمرو إلى اعتبارين اثنين:

✓ صدق الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

³⁷ محمّد ابن الجزري (ت833هـ)، النّشر في القراءات العشر، (م.س.)، ج01، ص216.

³⁸ عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، (دط)، القاهرة، (دت). ص85-86.

✓ الصّراع العلمي بين القبائل التي دخلت الإسلام، وهذا الانفراد بالإدغام ليس خاضعا للهجة معينة، بل كان استخداما لظاهرة لغوية راقية في تلاوة أرقى نصّ لغويّ وإن كان مصدرها لهجياً خالصاً⁽³⁹⁾.

أمثلة الإدغام:

قال الله تعالى: ﴿لِّلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان/01)، وقال أيضا: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ (الشعراء/12)، وقال أيضا: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ﴾ (النمل/16)، وقال أيضا: ﴿بَصَائِرٍ لِلنَّاسِ﴾ (القصص/43).
قرأ في هذه الآيات كلها بالإدغام الكبير أبو عمرو ويعقوب، كما قرأ بالإظهار كذلك مع الجمهور⁽⁴⁰⁾.

هذا وقد احتار النحاة الأوائل واختلفوا في تخرّيج هذه القراءة، فذهب الخليل وسيبويه وأصحابه إلى أنّه لا يجوز إدغام الرّاء في اللّام من أجل التكرير الذي فيها ولا في النون، قال أبو سعيد: «ولا نعلم أحدا خالفه إلا يعقوب الحضرمي، وإلا ما رُوي عن أبي عمرو أنه كان يدغم الرّاء في اللّام محرّكة متحرّكا ما قبلها، نحو: ﴿يَغْفِرُ لِمَن﴾، ﴿الْعُمُرُ لِكَيْلًا﴾، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ﴿مِن رَّسُولٍ﴾... وأجاز ذلك الكسائي والفراء وحكياه سماعا، ووافقهما على سماعه رواية وإجازة أبو جعفر الرّوآسي،

³⁹ عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، (م.ن).

⁴⁰ محمد سالم: محيسن، المهذب في القراءات العشر وتوجيهها، (م.س)، ج 02، ص 83-96-101-

وهو إمام من أئمة اللغة العربية من الكوفيين، وقد وافقهم أبو عمرو على الإدغام رواية وإجازة»⁽⁴¹⁾.

وقد وقف الزمخشري بكل جرأة لمثل هذه القراءة وردها بعنف، فيقول عند قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (البقرة/284): «فإن قلت كيف يقرأ الجازم؟ قلت يظهر الرء ويدغم اللأم، ومدغم الرء في اللأم لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين، لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا ينضبط نحو هذا إلا أهل النحو»⁽⁴²⁾.

4. الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى النتائج التالية:

- قام الأستاذان أحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم بعمل مُعجمي ضخم، تمثل في خدمة جليلة قدّماها للمكتبة العربية في مجال القرآنيّات، وبالتحديد في علم القراءات القرآنيّة. ولا يخفى علينا ما بذله الأستاذان من جهد مُضنيّ في سبيل تحقيق وإنجاز هذا المعجم، وهو يُنبئ عن سعي حثيث وتفان في خدمة اللغة والقرآن، وقد تكبّدا مشاق البحث والاستقصاء، بُغية الوصول إلى الهدف المُسَطَّر، ولا غرؤ أنّه عمل تجميعيّ جبار يستحقّ منا الشكر والثناء.

⁴¹ علي الهروط، أبو حيان الأندلسي والطنعن في القراءات، الأردن، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد السادس، العدد 01، أوت 1991، ص108.

⁴² جار الله الزمخشري(ت538هـ)، الكشف، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج01، ص518-519.

- ومع هذا كلّه فإنّه عمل تشوبه نقائص، ويُؤخذ عليه جملة من الأمور ذكرنا بعضها، وتلك لعمري طبيعة البشر فالكمال لله وحده.
- أنّ الهمزة حرف أصيل في اللغة العربية، ورد النحاة واللغويين لقراءة تحقيق الهمزتين في كلمة واحدة لا أساس له، لأن القراءة سنة متبعة.
- أن الإدغام والإظهار لغتان فصيحتان، وقد وردتا في القرآن الكريم وقراءاته، لكن الإشكال المطروح في قراءة إدغام المتماثلين المشهور عن أبي عمرو بن العلاء التي احتار فيها النحاة وردّها بعضهم، ونعتبرها قراءة صحيحة مادمت الرواية المتواترة قد جاءت بها.
- أنّ ما ادّعاه أغلب الباحثين والدّارسين حول الأطلس اللّهجاتي لظاهرتي الهمز والإدغام، مدفوع ومردود بالحجج القاطعة، ومحاولتهم لتحديد أطلس اللّهجاتي أمر شبه مستحيل، لأنّهم يعتمدون على مجرد روايات متناثرة في كتب اللغة والأدب، والتّعويل عليها لا يُعطي الوثوقيّة التامة في إصدار الأحكام.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط6، 1984.
2. إبراهيم السمراي، في اللّهجات العربية القديمة، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1994.
3. ابن عصفور الإشبيلي(ت643هـ)، أبو الحسن علي، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط5، 1973.

4. ابن هشام الأنصاري(ت761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق مصطفى السّقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط6، 1996.
5. أبو جعفر النحاس(ت338هـ)، إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2004.
6. أبو البقاء ابن يعيش(ت643هـ)، شرح المفصل، قدم له ووضع هوامشه إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.
7. أبو الفتح ابن جني(ت392هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، (دت).
8. أبو علي الفارسي(ت377هـ)، التكملة، تحقيق حسن شاذلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، (دط)،، 1984.
9. أبو عمرو الداني(ت444هـ)، التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1984.
10. أحمد مختار عمر وعبد العال سالم ومكرم، معجم القراءات القرآنية، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1997.
11. جار الله الزمخشري(ت538هـ)، الكشاف، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998.
12. جمال الدين ابن منظور(ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دط)، 2000.
13. رضي الدين الأستراباذي(ت686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد زفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، 1975.

14. عبد الصبور شاهين، أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1987.
15. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، (دط)، القاهرة، (دت).
16. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1999.
17. علي الهروط، أبو حيان الأندلسي والطعن في القراءات، الأردن، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد السادس، العدد 01، أوت 1991.
18. عمرو بن عثمان سيبويه(ت180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1982.
19. محمّد ابن الجزري(ت833هـ)، النّشر في القراءات العشر، تقديم علي محمد الضّبّاع، دارالكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002.
20. محمد سالم محيسن، المقتبس من اللهجات العربية القرآنية، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ط1، 1978.
21. محمد سالم: محيسن، المهدب في القراءات العشر وتوجيهها، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2002.
22. مكي بن أبي طالب القيسي(ت437هـ)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد محسن فرحات، دار عمار عمان، ط3، 1996.
23. مواقع الكترونية:

- مصطفى يوسف، أحمد مختار عمر عاشق اللغة ومخترع المعاجم، موقع حماسة، نشر يوم: 01 مارس 2016، تاريخ الدخول: 2021/11/05، الرابط:

<https://www.hamassa.com/2016/03/01/>

- عبد العال سالم مكرم/ موقع ويكيبيديا، آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم 12 يناير 2021، تاريخ الدخول: 2021/11/05، الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%A8%D8%AF_

[_D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84_%D8%B3](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84_%D8%B3)

[_D8%A7%D9%84%D9%85_%D9%85%D9%83%D8%B1%](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85_%D9%85%D9%83%D8%B1%)

[D9%85](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85_%D9%85%D9%83%D8%B1%D9%85)